الشعر الحر في العراق ولدى شعراء المهجر (الموازنة الأدبية)

Free Verse Poetry in Iraq and Among the Émigré Poets (A Literary Comparison)

Dr Nazia Gohar
Research Associate QEC Department, AIOU, Islamabad
Email: nazia.gohar@aiou.edu.pk

Abstract
This study explores the development of free verse poetry in Iraq and among Arab émigré poets, with a focus on the similarities and differences between the two literary movements. It examines the historical, cultural, and social factors that contributed to the rise of free verse, highlighting the role of Iraqi pioneers such as Badr Shakir al-Sayyab and Nazik al-Malaika, alongside the contributions of the Mahjar poets in North and South America. The research adopts a comparative literary approach, analyzing themes, stylistic features, and poetic techniques to reveal how both groups sought to renew Arabic poetry, break away from rigid classical forms, and express modern human concerns. The study concludes that, while the Iraqi school was more experimental in rhythm and structure, the émigré poets placed greater emphasis on spiritual exile, cultural identity, and universal humanism.
Keywords: Free verse, Iraqi poetry, émigré poets, Mahjar literature, modern Arabic poetry, comparative literature, poetic innovation, literary renewal, exile and identity, rhythm and structure

الفرق بين الشعر الحر الذي ظهر في العراق والشعر الحر لدى شعراء المهجر

الشعر الحر: هو الشعر الذي يتكوّن من شطر واحد، دون عجز، ذو تفعيلة واحدة، سمّي بالحرّ لأنّه تحرر من وحدة القافية والشكل، وللشاعر الحرية في تعدد التفعيلات والطول لكنّه يلتزم في القواعد العروضيّة كامل الالتزام، فإذا نظمت القصيدة على بحر معيّن تكون جميع أبياته على نفس البحر.

مواضيع الشعر الحر: موضوعات الشعر الحرّ عن الحياة العامّة، مثل تصوير المشكلات التي يعاني منها الناس في مجتمعهم من حروب أومرض أوضيق الحال، وتعبير الشاعر عن الحالة التي يشعر بها، والثورة على الحاكم الظالم أو التقصير من جانبه بحق شعبه، ووصف الزيف أوالظلم السائد في مكان ما.

ظهر الشعر الحر نتيجة لعدة عوامل أولها ما سببته الحرب العالمية الثانية من دمار وقتل، وبالتالي كان لا بد من ظهور شعر يتكلم عن معاناة الإنسان، ويصف الهمجية الإنسانية، والعامل الثاني انتماء الكثير من الشعراء لتيارات سياسية وفكرية خلقت في ذهنهم أفكار جديدة أما العامل الثالث هو التأثر بالشعر الغربي ومذاهبه الرومانسية والواقعية ورغبة الشعراء في التجديد والثورة على القديم.

مميزات الشعر الحر :

لا تقل مميزات الشعر الحر من أي مدرسة شعرية أخرى ،منها:

1. عدم التقيد بعدد التفعيلات :،تستخدم الأوزان الخليلية في الشعر الحرّ، والتفعيلات الموحّدة منذ بداية القصيدة حتى نهايتها لكن لا يلتزم بعدد التفعيلات في الأبيات.
2. الوحدة العضوية: أي التناسق العضوي بين ألفاظ القصيدة والأحداث والانفعالات والصورة حيث إنّ الموسيقى متناسقة مع الانفعالات.
3. سهولة اللغة في الشعر الحر، وظهور اللغة العامية فترى لغته قريبة من أفهام الناس واستخدام المرادفات البسيطة.
4. تماسك القصيدة، والاهتمام بالمضمون أكثر من الشكل، والاعتماد على التفعيلة والموسيقى الداخلية بين الألفاظ.
5. الوحدة الموضوعية من بداية القصيدة حتى نهايتها.
6. التحرر من قيود الشكل والطول في القصيدة، وتعبير الشاعر عن مشاعره دون تكلف، أو الحث عن كلمات منتقاة بدقة لتتناسب مع القافية.
7. الانتقال من الخيال كما في الشعر القديم، إلى تصوير الحقيقة والحديث عن مشاكل ومعاناة حقيقة.

رواد الشعر الحر في العراق:

تعتبر نازك الملائكة من روّاد الشعر الحر وظهر ذلك في قصيدة الكوليرا التي نظمتها بأسلوب الشعر الحر، وبعد ذلك مشى على خطاها بدر شاكر السياب ومن ثم عبد الوهاب البياتي ويعدّ هؤلاء الشعراء من مواليد نفس السنة 1926، ويعتبر الشاعر محمود درويش ونزار قباني من شعراء الشعر الحر.

نازك الملائكة :

اسمها الكامل نازك صادق جواد ألكاظمي أما لقب الملائكة فهو لقب مكتسب وليس لقبا للأسرة إذ أطلقه الشاعر العراقي عبد الباقي العمري تيمنا بهذه العائلة التي تشبه الملائكة بطيبتها وسموها فغلب على اللقب الأصلي .

تعتبر الشاعرة نازك الملائكة من الشخصيات الثقافية التي تركت أثرا نوعيا في الحياة الثقافية العراقية من خلال إسهاماتها في حركة التجديد الشعري التي انطلقت في القرن المنصرم والتي أخرجت جيلا من الشعراء الذين تبنوا ماذهبت إليه من نظم الشعر الحر ولدت الشاعرة نازك الملائكة في عام 1923وكانت الدولة العراقية الحديثة بدأت عملها في تنشيط التعليم على أسس جديدة بينما كان العصر الجديد يقدم براهينه ووعوده.وكانت التطلعات الجديدة قد انطلقت إلى حياة جديدة وثقافة جديدة وقد انطلقت في محيط ثقافي مليء بالتذكارات الثقافية المهمة والعابرة .

الشعر الحر في العراق

كانت بدايات الشعر الحر عام 1947في العراق ومن العراق بل من بغداد نفسها زحفت هذه الحركة وامتدت حتى غمرت الوطن العربي كله وكادت بسبب تطرف الذين استجابوا لها تجرف اساليب شعرنا العربي جميها جميعا وكانت اول قصيدة تنشر قصيدتي المعنونة الكوليرا وهي من وزن المتدارك (الخبب) ومنها هذه الأبيات :

طلع الفجر
أصغ إلى وقع خطى الماشين
في صمت الفجر ،أصخ ،انظر ركب الباكين
عشرة أموات ، عشرونا
لاتحص ،أصخ للباكينا
اسمع صوت الطفل المسكين
موتى ، موتى ، ضاع العدد
موتى ، موتى، لم يبقى غد
في كل مكان جسد يندبه محزون
لا لحظة إخلاد ، لاصمت
هذا مافعلت كف الموت
الموت الموت الموت
تشكو البشرية ، تشكو مايرتكب الموت .

نشرت هذه القصيدة في بيروت ووصلت نسخها بغداد في أول كانون الأول عام 1947

أضواء على قصيدة الكوليرا

نازك الملائكة شاعرة وناقدة وأديبة عراقية. تعتبر من أبرز الأديبات العربيات اللواتي تركن بصمة واضحة في الأدب العربي. هي ربيبة الأدب وابنته فوالدتها الشاعرة سلمى عبد الرزاق وأبيها الباحث

صادق الملائكة. امتازت نازك بامتلاك روح التحدي والتمرد على القوانين الأدبية التي تمثلت بتحطيمها لعمود الشعر وكتابتها للقصائد على النمط الحر. فعلى الرغم من الاختلاف بينها وبين بدر شاكر السياب بخصوص السبق بتحطيم عمود الشعر إلا أن قصيدة نازك الملائكة المعروفة باسم الكوليرا تعتبر أول قصيدة تكتب على الوزن الحر في الأدب العربي. وبذلك تكون قصيدة الكوليرا متميزة من حيث التركيب واللغة والمعنى الذي تحتويه.

الشعر ومنذ بداياته الأولى كان وسيلة للتعبير عن خبايا النفس الإنسانية عن طريق امتزاج الكلمات والأوزان لتخلق لنا صورة ومعنى ضمن إطار وحدود النص. فسواء كانت القصيدة رمزية أو رومانسية أو حتى كلاسيكية فهي تستخدم الصور والتعابير للوصول إلى المعنى الحقيقي الذي يقصده الشاعر وهذا ما عمدت إليه نازك الملائكة في قصيدتها الكوليرا. ففي هذه القصيدة رسمت صورة قاتمة سوداوية للمدينة التي غزاها المرض. فالليل هادئ والصمت سائد ولا شيء يسمع سوى صوت المرضى وأنينهم وأصوات التكبير على جثث الموتى. لكن نازك تعود لترسم صورة الماضي لهذه المدينة فهي وادٍ مرحٍ وضاء تسلل له الموت على هيئة المرض ليفتك بالجميع بلا استثناء ولا فرق عنده بين طفل وشيخ وامرأة.

فالكوليرا التي تحدثت عنها نازك في قصيدتها هي ذلك الوباء الذي يفتك بالبشرية لا يفرق فيها بين طفل وشيخ وبين امرأة ورجل. إن أردنا أخذه بمعناه السطحي، فنازك الملائكة تتكلم عن الوباء الذي انتشر في مصر في عام 1947. الوباء الذي قتل البشر وأهلك الحرث والنسل وأحدث الخراب وسبب الآلام للعديد من الأشخاص.

مؤلفاتها أصدرت الشاعرة نازك الملائكة عددا من الدواوين والدراسات الشعرية منها الدواوين

1-مأساة حياة 2-عاشقة الليل 3-أغنية الإنسان 4-شظايا ورماد 5-قرارة الموجة 6-شجرة الفجر 7-للصلاة والثورة 8-يغير ألوانه البحر .

وفاتها تاريخ 20 حزيران عام 2007 توفيت الشاعرة نازك الملائكة في القاهرة عن عمر تجاوز الثمانين عاما بعد صراع مع المرض .

بدر شاكر السياب

شاعر عراقي ولد في العام 1926 في مدينة البصرة بالعراق، عاش يتيم الأم فكان لهذا اليتم وقع حزين على حياته، ولكن لم يقف هذا الحزن عائقاً أمام بدر شاكر السياب فانه أكمل دراسته الثانوية ثم انتسب إلى دار المعلمين في بغداد، ليدرس اللغة العربية فقد كان شغوف بها إلى حد كبير، كما أنه درس اللغة الإنجليزية لتكون ثقافته مميزة وكبيرة وقد أنهى تعليمه الجامعي في العام 1948.

بدر شاكر السياب بين الشعر والسياسة

بعد أن أنهى بدر شاكر السياب دراسته عمل كمدرساً في احدى مدارس بغداد، إلا أن هذا العمل لم يدم، فقد تعرض للطرد منه إثر أعمال سياسية مخالفة لقوانين الدولة كان قد قام بها، فقد خرج بدر شاكر السياب في العديد من المظاهرات والمسيرات مما أدى إلى نفيه خارج العراق، وقد كان لهذا النفي الأثر الكبير في نفسه، فكتب على اثره أهم قصائده الأدبية (غريب على الخليج) والتي عبر عن حبه وشوقه لموطنه، كما أن له عدة قصائد أخرى تعد من أجمل أيقونات الشعر الحديث مثل قصيدة (أنشودة المطر) التي ما زال الناس يتغنون بها حتى يومنا هذا.

وفاة بدر شاكر السياب

توفي بدر اكر السياب بعد معانة طويلة مع المرض، ومحاولات للعلاج في أكثر من دولة، فقد تنقل بين بغداد وبيروت ولندن وباريس والكويت للعلاج إلا أن ذلك كله لم يستطع رد الأجل عنه، قد وافته المنية في الكويت عام 1964، وتم نقل جثمانه إلى موطنه في مدينة البصرة كي يدفن فيها.

دعوته للتجديد

قد قام بخدمة الأدب العربي بدعوة التجديد في القصائد متأثرا بشعراء الأجانب خاصة بوليام شكسبير، وجون كيتس، حيث أعطى كل بيت صورة، كما أهتم بالصور التراجيدية العنيفة.يقف السياب من الشعر الحديث موقف الثائر الذي يعمل على قلب الأوضاع الشعرية، ونقل الشعر من ذهنية التقليد، و تقديس الأنظمة القديمة إلى ذهنية الحياة الجديدة التي تنطق بلغة سهلة، وطريقة جديدة، وقد هز العالم العربي هزا عنيفا بثورته على الشعر العربي، فحوله من نظام العروض الخليلي إلى نظام الحرية ، واخرج الأوزان القديمة من قواعدها المألوفة، وتصرف بالتفاعيل والقوافي وفقا لمزاجه الشعري، فنجد في شعره الثروة الفكرية، والغزارة المعنوية، واللفظة المعبرة عن الثورة الحياتية المتفجرة، والرمزية التصويرية التي تزيد الكلام حدة.وقد ترك آثارا أدبية كثيرة منها: ديوان أزهار ذابلة. ديوان جار القبور.ديوان أنشودة المطر.ديوان المعبد الغريق.ديوان قيثارة الريح.ديوان فجر السلام. الحب والحرب/ ترجمة شعرية.

أهم قصائد بدر شاكر السياب

غريب على الخليج

الشمس أجمل في بلادي من سواها، والظلام

حتى الظلام هناك أجمل، فهو يحتضن العراق

واحسرتاه، متى أنام

فأحسّ أن على الوسادة

من ليلك الصيفي طلاّ فيه عطرك يا عراق؟
بين القرى المتهيّبات خطاي والمدن الغريبة

وهذه قصيدة «غريب على الخليج». هذه واحدة من روائع بدر شاكر السياب الشعرية، كتبها الشاعر الخالد سنة 1953 بعد شهر من انتفاضة عام 1952 في العراق. كتبها السياب، بعد فشل الانتفاضة، وهو مشرد يضرب في آفاق الغربة، هاربًا — من خوف — بعد مساهمته الفعالة — مواطنًا وشاعرًا – في تلك الانتفاضة. وقد حطَّ به رحْل الهروب، حينئذٍ، في إحدى دول الخليج العربي (الكويت)، مشردًا صفر اليدين، بعيدًا عن الديار وعن الأحبة. فلا غرابة، إذن، أن تطغى ظلال الغربة والضياع والأسى والحنين وما سوى ذلك من عناصر معنوية على أجواء هذه القصيدة التي وظف فيها السياب، توظيفًا ناجحًا، هذا فضلاً عن العناصر المادية، من طبيعية تحيط بالمكان الذي تفجرت فيه عاطفة الشاعر بهذه القصيدة الفذة —كالبحر الذي هو «أوسع ما يكون»، والريح اللاهثة حينًا والصاخبة حينًا آخر، وقلوع السفائن التي «تظل تطوى أو تنشر للرحيل»، والرمال الخليجية التي جلس عليها الشاعر

أنشودة المطر

اتخذ بدر شاكر السياب من المطر رمزا واسعا قادرا على حمل هواجس النفس الإنسانية . فيتخذ الشاعر من موطنه العراق حبيبة يتغنى بها ويتمنى أن يعم وطنه الخير والخصب والنماء منطلقا من همه الفردي الخاص إلى عرض بعض الهموم الاجتماعية مثل : الفقر والجوع على الرغم من وجود الخير الكثير في بلده .

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السَّحر
أو شُرفتانِ راح ينأى عنهما القمر
عيناكِ حين تبسِمان تورِقُ الكُروم
وترقصُ الأضواء كالأقمارِ في نهر
يرجُّه المجداف وهناً ساعة السَّحر
أتعلمين أي حزن يبعث المطر
وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر
وكيف يشعر الوحيد فيه بالضياع
بلا انتهاء ـ كالدم المراق، كالجياع
كالحب، كالأطفال كالموتى ـ هو المطر

شرح

يتخيل الشاعر العراق حبيبة له ويتذكر من خلالها ذكرياته الجميلة بها فيتذكر غابات النخيل الشامخة في أواخر الليل بهدوئها وسكونها ، فعندما يعم السلام والسعادة في العراق تتحرك كل مباهج الكون وتعزف أنشودة الحياة التي يراها في شجر الكروم الذي كثرت أوراقه وكذلك في الأضواء المنبعثة من القمر التي تتراقص وتتلألأ على سطح الماء عندما يتحرك المجداف بضعف قبيل الصباح فيشعر بالرغبة الشديدة للتحرر والارتباط بعالم السماء الرحب ويعود مرة أخرى فيتذكر طفولته في العراق وقد امتلأ الجو فيها بالسحب الماطرة التي بدأت تقضي على الغيوم فيسقط المطر قطرة قطرة وقد تهلل الأطفال فرحين في عرائش العنب وبدا المطر محركاً لصوت العصافير على الشجر يعزف أنشودة الحرية والخصب والنماء " مطر... مطر.... مطر ".

أوجه التشابه

بين نازك الملائكة وبدر شاكر السياب

1. العصر: هما معاصران حيث ولدت نازك الملائكة سنة 1923م، وولد بدر شاكر السياب سنة 1926م.
2. البلد: كلاهما من العراق، نازك الملائكة ولدت في بغداد، وبدر شاكر السياب ولد في البصرة.
3. الشعر: أصدرت الشاعرة نازك الملائكة عددا من الدواوين منها مأساة حياة، عاشقة الليل، أغنية الإنسان، يغير ألوانه البحر، وكذلك بدر شاكر السياب أصدر عددا من الدواوين منها ديوان جار القبور، ديوان أنشودة المطر، ديوان فجر السلام.
4. حق الريادة: بدأت حركة الشعر الحر في العراق في سنة 1947م، وكانت قصيدة نازك الملائكة (الكوليرا) من أوائل الشعر الحر في الأدب العربي ،وكذلك قصيدة بدر شاكر السياب (هل كان حبا)، وكلتا القصيدتين نشرتا في عام1947م، لذلك نجد الإختلاف بين النقاد في حق الريادة ، و لكننا نرى بأن حق الريادة مشترك بينهما، وكان هدفهما واحد وهو تطور القصيدة العربية من حيث شكلها و أوزانها و قوافيها.
5. جدة في موضوعات الشعر: حيث كتب كل واحد منهما على الموضوعات الجديدة، الموضوعات التي لم تكن تتناولها القصائد العربية، مثل موضوع الكوليرا، وقدمت صورة المشاكل التي يعانيها الناس في حياتهم.
6. العوامل: عاش كل واحد منهما تحت العوامل الإجتماعية، وأخرى النفسية التي ساعدت في تنمية الشعر الحر.من هذه العوامل زمن الحرب العالمية الثانية، ومشاهدة الدمار ،والقتل فكان لا بد من تأثير الأحزان وظهور هذه الأحزان في الشعر.

7. اللغة: لغتهما التي استخدمت في الشعر سهلة وقريبة إلى الأفهام،
8. الرموز: استخدام الرموز الأسطورية تعتبر من المجزات المهمة في حركة الشعر الحر على يد نازك الملائكة ، وبدر السياب حيث استخدما لتعبير عن أفكار عميقة لم يألفها القارئ قبلهما ،وهذا يدل على تأثرهما بالأدب الأروبي، وكما يدل على الظروف القاسية آنذاك في المجال السياسي، و الإجتماعي حيث كانوا يعانون من قوى التسلط والرعب التي كانت تحكم العراق، وكانوا متفائلين بشمس الحرية في نفس الوقت، وكان السياب أكثر اهتماما بالأساطير خاصة بعد فترة مرضه للتعبير عن غربته وحرمانه ،ومرضه ، وانتظاره الموت.
9. التدريس: بدر شاكر السياب عمل كمدرس في إحدى المدارس ببغداد، وكذلك نازك الملائكة كانت تدرس في الجامعة .

أوجه الخلاف

بين نازك الملائكة وبدر شاكر السياب

1. **الثقافة:** تعتبر الشاعرة نازك الملائكة من الشخصيات الثقافية التي تركت أثرا نوعيا في الحياة الثقافية العراقية، وكانت تنتمي إلى الأسرة المثقفة حيث لقب الشاعر العراقي عبدالباقي هذه الأسرة الملائكة تشبيها بسموها وطيبها، وكانت والدتها سلمى مديرة للمجلة الأدبية، ووالدها صادق جعفر شاعر، وكانت من سكان بغداد ،وأهل بغداد أكثر سعة في الثقافة،
2. أما بدر شاكر السياب ولد في قرية صغيرة اسمها جيكور اسم فارسي جوئ كور أى الجدول الأعمى، فكانت نشأته الشعرية في بصرة فكانت لهذه النشأة القروية أثرا في أدبه وثقافته.
3. **العاطفة:** نازك الملائكة كانت امرأة ، فكانت لأنثيتها الفطرية أثرا بارزا في أدبها، وتتجلى هذا الأثر في موضوعاتها الشعرية، فنراها مغرقة في بحر الحزن، واليأس، والكآبة ،وهذه العاطفة تظهر في اسماء الدواوين، مثل ديوان مأساة الحياة، وأمنية الإنسان، فهذه الدلالة الواضحة بأنها تحس وتشعر وتحمل هم الإنسانية، بدر شاكر السياب أيضا مغرق في الحزن واليأس ولكن حزنه ويأسه شخصي، لأنه كان يتيما ومريضا فلهذه اليتمى والمرض كان أثرا عميقا في شخصيته وأدبه.
4. **بدر شاكر السياب كان سياسيا،** فقد خرج في العديد من المظاهرات والمسيرات مخالفة لقوانين الدولة، مما أدى إلى نفيه خارج العراق وقد كان لهذا النفي أثرا كبيرا في نفسه، فكتب تبعا لهذا التأثير قصائده مثل " غريب على الخليج " عبر عن حبه وشوقه لموطنه.أما نازك الملائكة ما كانت امرأة سياسية ولم تعرض للطرد بسبب أعمالها السياسية وما ذاقت الغربة.

مدرسة المهجر

سافر عدد كبير من أبناء الشعب السوري واللبناني إلى أمريكا في أواخر القرن التاسع عشر بحثاً عن فرص عمل مناسبة، وهرباً من كبت الحريات، وبحثاً عن الاستقرار النفسي، وبعد أن استقرت فئة منهم في أمريكا الشماليّة وفئة أخرى في أمريكا الجنوبيّة، أسسوا الرابطة القلميّة والعصبة الأندلسيّة؛ للتعبير عن قضاياهم، ونيل مطالبهم، وقد أُطلق على تلك الرابطتين اسم مدرسة المهجر.

الشعر الحر عند جماعة المهجر

التمرد الشعري بدأ منذ مطلع القرن العشرين عند شعراء المهجر، لما تجرأوا على أوزان الخليل وثاروا على نظام الشطرين، فهذه حركة التجديد المهجري مهدت لنشأة الشعر الحر،أحد الشعراء عبّر عن المنحى التجديدي بقوله: «آن يا شعر أن تفك قيوداً»

تطور الشعر عند جماعة المهجر:

الجماعة المهجر، سواء شعراء المهجر الشمالي أو جماعة المهجر الجنوبي لهم فضل كبير في تطور القصيدة العربية وتحديثها، فكثيراً ما تجرأوا على أوزان الخليل التقليدية وثاروا على نظام الشطرين وجددوا في موسيقى الشعر، تدفعهم إلى ذلك رغبتهم في أن تكون للعربي الجديد قصيدته أو قصائده تماماً كما كانت للعربي القديم قصيدته، وقد بدأت ملامح هذا التمرد الشعري منذ بدايات القرن العشرين سواء في الوطن العربي أو في المهاجر الأمريكية لدى كثيرين. وقد عبّر أحد الشعراء عن هذا المنحى التجديدي بقوله :''آن يا شعر أن تفك قيوداً''.

موسيقى الشعر

ظهرت حركة واضحة للاهتمام بدراسة موسيقى الشعر العربي من منظور جديد مستفيد من التطور العلمي في هذين المجالين، وبخاصة علوم الأصوات المختلفة وقد أسس لهذه الحركة محمد مندور (١٩٤٦) من ناحية، وإبراهيم أنيس (١٩٤٩) من ناحية أخرى ثم توالت الأجيال لتُنضج هذا التأسيس وتجعل منه تياراً واسعاً نجح في تحجيم منظور العروض التقليدي الذي كان يكتفي بالبحث عن صحة وزن القصيدة (أو رويّها) من فساده، وأصبحنا نمتلك وعياً واضحاً بأن العروض الخليلي ليس مقدساً، بل وليس كافياً لفهم الظاهرة الإيقاعية في الشعر العربي سواء قديمة أو حديثة وأن علينا أن نبحث عن منهج جديد أكثر قدرة على هذا الفهم وعلى دراسة عناصر الإيقاع من ناحية وعلى إدراك ضرورته الفنية أي وظيفته في الشعر عامةً وفي بناء القصيدة، خاصة لتحقيق دلالة لا يستطيع غير الإيقاع أن يحققها.

موسيقى الشعر عند شعراءالمهجر

شعراء المهجر الذين كانوا من أهم المتمردين في مقولاتهم النظرية وفي شعرهم على العروض الخليلي منذ بدايات القرن العشرين وقدموا في أشعارهم نماذج تجديدية عرفها التراث العربي على استحياء، كما عرفوها من الشعر الأوروبي والأمريكي الذي عاينوه.

شعراء المهجر والتجديد

كان شعراء المهجر مجددين فعلاً في أشعارهم كما كانوا في مقولاتهم النظرية.والواقع أن شعراء المهجر أخرجوا لنا شعراً موسيقياً جميلاً وجديداً عنوا فيه وفي نظمه كل العناية بالناحية الموسيقية فتغنوا في الأوزان كما نوعوا في القوافي. وبذلك تكون حركة التجديد المهجري من أهم حركات التجديد في تاريخ شعرنا العربي لقد مهدت هذه الحركة بمظهريها العملي والنظري لنشأة الشعر الحر الذي يقوم بشكل عام على نفس الأسس النظرية والعملية التي قامت عليها حركة التجديد المهجرية ويؤيد هذا الرأي كثيرون في إثبات دور شعراء المهجر في التمهيد لظهور الشعر الحر وأن بعض بواكيره ظهرت في أشعارهم.

الإنتاج الشعري الضخم لشعراء المهجر

عشرات الدواوين ومئات القصائد لشعراء المهجر تدل على تطوير موسيقى الشعر العربي ومن أهم شعراء المهجر. إيليا أبو ماضي،و جبران خليل جبران،و ميخائيل نعيمة،و نعمة الحاج،و رشيد أيوب،و الشاعر القروي رشيد سليم الخوري،و الشاعر المدني قيصر سليم الخوري،و إلياس فرحات،و إلياس قنصل،و زكي قنصل،و فوزي المعلوف، وغيرهم.

مجموعة المهجر الشمالي منفصلة عن مجموعة المهجر الجنوبي، وذلك لتوضيح الميول الأدبية لدى المجموعتين ولدى شعراء المهجر عموماً ،كان لشعراء المهجر ''وعي'' بما فعلوه من تجديد في أوزان الشعر ،وجود علاقة وثيقة بين الشعر والموسيقى فالحياة عند الشاعر هي ترنيمة يسمعها الشاعر ويعبر عنها بعبارات موزونة رنانة ''الشاعر الذي تعانق روحه الكون يدرك هذه الحقيقة لذلك تراه يصوغ أفكاره وعواطفه في كلام موزون منتظم''.

علاقة الوزن مع العواطف

إن القصد الأساسي من الوزن هو التناسق والتوازن في التعبير عن العواطف والأفكار ولا شك أن الأوزان نشأت نشوءاً طبيعياً وكان سبب ظهورها ميل الشاعر إلى تلحين عواطفه وأفكاره لذلك لحق الوزن بالشعر هكذا نما الشعر العربي ونمت أوزانه.

دوافع الشعر الحر فكرة التحرر ورغبته في تحطيم القيود،أن الشعراء مسجونون خلف سياج عالية من القواعد العروضية وجدران عالية من التقاليد الشعرية المتوازنة في شكل دواوين ذات نسق تقليدي يصعب

تغييره فلا الأوزان ولا القوافي من ضرورة الشعر ،وهذا شيء مختلف كل الاختلاف عن الشعر فلا انفصال في وجوده بين معانيه وبين أوزانه وبين نظامه الموسيقي.

حرية الشاعر في اختيار الوزن

حرية الشاعر في اختيار الوزن الذي يناسبه ،فحبذا يوم نسمع فيه شاعرنا يوقع ألحانه على الأوزان التي يختارها قلبه وتميل إليها نفسه دون أن يرى ذاته مربوطة بلوازم العروض والقوافي".. ومن ثم فهو يرفض القيود المسبقة والتقاليد الجامدة المفروضة والمعقدة.

الموضوعات الجديدة

الشاعر يقول الشعر في الغرض الذي ينفعل به دون حصر للشعر في أغراض متوارثة كالحماسة والغزل والمدح والرثاء ما قيّد الشاعر شكلاً وموضوعاً إن لم يسهل عليكم أن تطرحوا الأوزان أفلا طريقة تُطرح بها عنا القافية. من الحيف والجهل أن نضحي لأجلها بحرية الإبداع لدى الشاعر وأن نطلب منه أن يشوّه الفكر الذي يود نقله والصورة التي يرغب نقشها لأجل تلك اللذة..

اجتهادات شعراء المهجر

من ذلك مزج الحالات الوزنية الذي توسع فيه كثيرون منهم الشاعر إلياس فرحات في قصيدة (يا حمامة) وفيها يقول:

يا عروس الروض يا ذات الجناح يا حمامة
سافري مصحوبة عند الصباح بالسلامة
واحملي شكوى فؤاد ذي جراح وهيامه
أسرعي من قبل يشتد الهجير بالنزوح
واسبحي ما بين أمواج الأثير مثل روحي
وإذا لاح لك الروض النضير فاستريحي

وهناك تقنية مزج الأوزان وهي من أعقد التقنيات، فهي سلاح ذو حدين، وهي إضافة فنية تزيد ثراء القصيدة إذا تمكن الشاعر من استخدامها بمهارة والعكس صحيح، من هذا النموذج قصيدة (جميل) للشاعر القروي التي يقول فيها عن صديقه المتوفى:

جميل نم نم هنيئا
ياليت نومك نومي
وأين مونة يوم
من مونة كل يوم

زخرفت أجنحة الأحلام فانطلقت

من الحنايا كأسراب الحساسين

حتى إذا بلغت حناتها وقعت

على غصون الأفاعي والثعابين

ويتخلص جبران خليل جبران من كل الأثقال والقيود في قصيدة (أغنية الليل) التي يقول فيها:

سكن الليل وفي ثوب السكون

تختبي الأحلام

وسعى البدر وللبدر عيون

ترصد الأيام

فتعالي يا ابنة الكرم نزور

كرمة العشاق

علنا نطفي بذياك العصير

حرقة الأشواق

اسمعي البلبل ما بين الحقول

يسكب الألحان

في فضاء نفخت فيه التلول

نسمة الريحان

التكرار والمزج

أما المزج بين أكثر من حالة فنجد له نموذجاً جيداً لدى ميخائيل نعيمة في قصيدته (ابتهالات) التي يقول فيها:

كحّلِ اللهم عيني

بشعاع من ضياك

كي تراك

في جميع الخلق: في دود القبور

في نسور الجو في موج البحار

في صهاريج البراري في الزهور

في الكلا، في التبر، في رمل القفار

في قروح البرص في وجه السليم
في يد القاتل في نجع القتيل
أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود؟
هل أنا حر طليق أم أسير في قيود؟
هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود؟
أتمنى أنني أدري ولكن
لستُ أدري
وطريقي، ما طريقي؟ أطويل أم قصير؟
هل أنا أصعد أم أهبط فيه وأغور؟
أأنا السائس في الدرب أم الدربُ يسير؟
أم كلانا واقف والدهرُ يجري؟
لستُ أدري
ليت شعري وأنا في عالم الغيب الأمين
أتراني كنتُ أدري أنني فيه دفين؟
وبأني سوف أبدو وبأني سأكون؟
أم تراني كنت لا أدرك شيئا؟
لستُ أدري

الشاعر هنا يوظف المسمط أروع توظيف، فقد استغل عمود المسمط في ترجيع صدى ما في نفسه وتكرار ما وصل إليه نتيجة تساؤله في كل زاوية من زوايا التفكير. ولو استعمل الشاعر أي شكل شعري آخر كالعمودي أو المقطوعي أو الموشح مثلاً ما وصل إلى هذا الإخراج البديع الذي يجعل الإيقاع والمعنى وجهين لعملة واحدة بلا تعسف لأحدهما على حساب الآخر.وتستمر القصيدة حتى تبلغ واحداً وسبعين مقطوعة على نفس الشاكلة مكونة أطول قصائد المهجر على الإطلاق، مخصصاً كل مجموعة مقطوعات لفكرة رئيسة تتجزأ إلى زوايا أصغر، خص كل زاوية بمقطوعة منفصلة، فقد خصص مجموعة مقطوعات لمخاطبة البحر ومجموعة للدير وهكذا.

الإبداع للجمال

أن الشاعر المهجري فعل كل ما يمكن فعله بالأوزان وحالات مزجها وبأنساق القوافي وتنويعها، فلم يقف موقف المقلد لما سبق من تنويعات وأنساق، بل أبدع أنساقاً داخل الأنساق ونوّع ومزج بشكل

لم يسبق له مثيل فجاءت تنويعاتهم في الأنساق ومزجهم للحالات الوزنية، نماذج بديعة وغير مسبوقة وتنم عن قريحة تتوق إلى الجمال والتشكيل الفني المبتكر، وتدل على عبقرية فذة تغذت من الموروث وتطلعت إلى التعبير عن ذاتها الخلاقة للجمال والإبداع.

الخصائص الموضوعيّة

الحنين والشوق إلى الوطن، والدفاع عن القضايا المتلعقة به، من منطلق أنّ الشعراء جزء لا يتجزأ منه، حيثُ فاضت قصائدهم بمشاعرهم الجياشة التي تتغنى بجمال الوطن وتُعبِّر عن مرارة الغربة، وقد اشترك شعراء المهجر الجنوبي والشمالي بهذه الصفة. التحاور مع الطبيعة والامتزاج بها، وبثّ روح الحياة في مظاهرها، وإسقاط ما يجول في أنفسهم من مشاعر الحزن، والخوف، والحب عليها، فكانت الطبيعة ملاذاً يجدون فيه الراحة والسعادة، ومثال ذلك ما تغنى به جبران خليل جبران في قصيدته المواكب بحياة الغابة وما فيها من صفاء وراحة.

تأمل النفس الإنسانيّة:

فقد عمد شعراء المهجر إلى تحليل الشخصيّة الإنسانيّة من خلال تصويرها بدقة؛ للكشف عما فيها من أسرار، ولتحقيق للمُثل العليا الخالدة، وهذه ميزة اتصف بها شعراء المهجر الشمالي أكثر من الجنوبي. ظهور النزعة الإنسانيّة الشاملة في منتوجهم الأدبي، حيثُ اتسعت قلوبهم بالحب المطلق لكل البشريّة، وانتقدوا الظلم الذي منع أوطانهم من الاستقلال والتحرر، كما ساهموا في نشر المبادئ الإنسانيّة بين الناس؛ لبناء وخلق مجتمع إنساني مثالي يسوده العدل، والمودة، والرحمة. الابتعاد عن أسلوب الخطاب المباشر، والاعتماد على أسلوب الهمس في التعبير، مما جعل معانيهم وكلماتهم تدخل إلى النفس كما يتسرب الماء إلى جذوع الشجر.

الخصائص الفنيّة

الابتعاد عن التكلّف، والتمرد على الغرابة في استعمال اللغة غير الملائمة للعصر، حيثُ تمتعت ألفاظهم وكلماتهم بالسلاسة، والرقة، والبساطة، إلى جانب تميزهم بجمال وبراعة التصوير. الدعوة إلى الوحدة الموضوعيّة في القصيدة، وقد استلهموا هذا من الشعر الغربي، حيثُ اشتملت دواوينهم على مضمون واحد مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعنوان.

الاهتمام بالصور الفنيّة

الاهتمام بالصور الفنيّة التي تُشخّص المعنى المقصود؛ لأنّ الصورة قادرة على التعبير عن عواطف الشاعر، فجاءت معظم قصائهم لوحات فنيّة مليئة بالحياة والحركة. الاستفادة من تنوع القافية كما في الموشحات الأندلسيّة، والتمرد على الأوزان العروضيّة المعروفة، فكانت أغلب قصائدهم من المطولات.

الاعتماد على القصة كوسيلة للتعبير، فكانت القصيدة تزخر بالشخصيات التي تتحاور وتتصارع لتعبّر عن مكنوناتها الوجدانيّة.

إنَّ الموازنة بين الشعر الحر في العراق ونتاج شعراء المهجر تكشف عن أن الحركتين كانتا خطوتين متكاملتين في سبيل تطوير الشعر العربي الحديث، إذ إنّ كلًّا منهما استجابت لظروفها الخاصة.فالشعر الحر في العراق جاء استجابةً لضرورات داخلية فرضتها التحولات السياسية والاجتماعية في الوطن العربي، فكان صوتاً ثائراً يطالب بالتجديد والحرية والانعتاق من قيود الشكل التقليدي.أما شعر المهجر فانبثق من تجربة الاغتراب والحنين، فجاء أكثر ذاتية وروحانية وإنسانية، محمّلاً بصدق الشعور، وصياغة وجدانية تقترب من العالمية.وعلى الرغم من اختلاف السياقين، فإن التجربتين أسهمتا في إغناء الشعر العربي وتوسيعه ليواكب قضايا العصر ويستجيب لحاجات الإنسان الفكرية والنفسية والجمالية.وعلى الرغم من اختلاف السياقين، فإن التجربتين أسهمتا في إغناء الشعر العربي وتوسيعه ليواكب قضايا العصر ويستج:

إنَّ الموازنة بين الشعر الحر في العراق ونتاج شعراء المهجر تكشف عن أن الحركتين كانتا خطوتين متكاملتين في سبيل تطوير الشعر العربي الحديث، إذ إنّ كلًّا منهما استجابت لظروفها الخاصة:فالشعر الحر في العراق جاء استجابةً لضرورات داخلية فرضتها التحولات السياسية والاجتماعية في الوطن العربي، فكان صوتاً ثائراً يطالب بالتجديد والحرية والانعتاق من قيود الشكل التقليدي.أما شعر المهجر فانبثق من تجربة الاغتراب والحنين، فجاء أكثر ذاتية وروحانية وإنسانية، محمّلاً بصدق الشعور، وصياغة وجدانية تقترب من العالمية.وعلى الرغم من اختلاف السياقين، فإن التجربتين أسهمتا في إغناء الشعر العربي وتوسيعه ليواكب قضايا العصر ويستجيب لحاجات الإنسان الفكرية والنفسية والجمالية.في العراق موضوعات الشعر الحر حملت طابعاً سياسياً واجتماعياً، مع نزعة إلى تصوير معاناة الشعب، والبحث عن الحرية، وطرح قضايا الوجود والموت والحياة.في المهجر غلبت موضوعات الحنين إلى الوطن، الإحساس بالغربة، النزعة الروحانية، التأمل في المصير الإنساني، إضافة إلى نزعة إنسانية شاملة تتجاوز حدود الوطن الواحد. التجربة العراقية صارت المرجع الأساسي لكل التجارب اللاحقة في الشعر الحر، واعتُبرت بمثابة "الثورة الشكلية" الأوسع في الشعر العربي. أدخل المهجريون قيماً جديدة كالتجربة الروحية، والانفتاح على الفكر الغربي، والنزعة الإنسانية الكونية، مما أثر في اللغة الشعرية وصورها ومضامينها.

المصادر والمراجع

1–كتاب "تاريخ الشعر العربي الحديث" لأحمد قبش، الذي يتناول حركة الشعر الحر في الأدب العربي الحديث.

2–كتاب "قضايا الشعر المعاصر" لنازك الملائكة، حيث تناولت فيه تطور الشعر الحر ونقده.

3 –كتاب "بدر شاكر السياب" لعباس إحسان، الذي يقدم دراسة لحياة وأعمال الشاعر العراقي الرائد في الشعر الحر.

4– مقالات في الدوريات الأكاديمية مثل تلك الصادرة عن قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة عليكره الإسلامية.

5 – ديوان "الكوليرا" للشاعرة نازك الملائكة، والذي يعتبر من أوائل قصائد الشعر الحر.

6– ديوان "أساطير" للشاعر بدر شاكر السياب، أحد رواد الشعر الحر.

7 – أعمال شعراء آخرين ممن يعتبرون روادًا مثل عبد الوهاب البياتي وشاذل طاقة.

8 –كتب نقدية كتبها دارسون متخصصون في أدب المهجر مثل عيسى الناعوري، ومحمد عبد المنعم خفاجي.

9– دراسات حول تشكيل الأسلوب في الشعر المهجري الحديث منشورة على منصات مثل CORE.

10 – أعمال شعراء مثل جبران خليل جبران، وإيليا أبي ماضي، وميخائيل نعيمة، والتي تُظهر سمات الشعر المهجري.

11 – مجموعات شعرية لهؤلاء الشعراء متوفرة في المكتبات والمصادر الأدبية.

12 – موسوعات ومواقع أدبية مثل موسوعة الجزيرة، والتي تُقدم معلومات حول شعراء المهجر وأعمالهم.

13 – مقالات حول حركة الأدب العربي في المهجر، ودراسات عن الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية.